صناعة الخزف والزجاج في بلاد الشام

منذ القرن الأول حتى نهاية القرن الثالث الهجري

إعداد

د/نعيمة برعي رمضان عبد الغفار

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الآداب جامعة أسوان

الملخص :

ازدهرت الصناعة ازدهاراً كبيراً فى كافة بلاد الشام بسبب وفرة مواردها ومن أهم الصناعات صناعة الزجاج والخزف ،التى انتشرت فى مدن الشام حيث يوجد بها أنواع مختلفة من الخزف ومن الصناعات الخزفية التى عرفها المسلمون الأباريق والمقابض المنقوشة ، كما راجت الصناعات الزجاجية المزخرفة بالنقوش كالأوانى الزجاجية والكئوس والقوارير والأكواب والحلى والنوافذ والفسيفساء والمصابيح المسماة بالمشكاة التى تشبه الزهريات ، وظهر أثر الصين فى الصناعات الزجاجية والخزفية فى دولة الإسلام فى الألوان والأشكال والزخرفة والنقوش ، بينما تقدم المسلمون فى صناعة الزجاج والخزف تقدماً عظيماً ،فأنتجوا أوانى مُذهبة على درجة كبيرة من الإتقان ، ومن هنا جاء موضوع البحث بعنوان صناعة الزجاج والخزف فى بلاد الشام منذ القرن الأول حتى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى).

وقد احتوى البحث على العناصر التالية:

صناعة الخزف وأنواعه مثل الخزف المزجج وذو الزخارف البـــارزة وذو البريق المعدنى وطرق صناعته ثم صناعة الزجاج وأنواعه وطرق صناعته وزخرفة الفسيفساء.

وقد أنهيت البحث بخاتمة شملت أهم النتائج التي توصلت إليها، ثـــم قائمـــة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

الكلمات المفتاحية : بلاد الشام – صناعة – الخزف – الزجاج.

Summary

Industry flourished greatly in all the Levant countries due to the abundance of its resources. Among the most important industries are the glass and porcelain industries, which spread in the cities of the Levant, including Samarra, where there are different types of porcelain.

Among the ceramic industries known to Muslims were engraved jugs and handles. Glass industries decorated with engravings were also popular, such as glass vessels, cups, flasks, mugs, ornaments, windows, mosaics, and lamps called "mishkat" that resemble vases

The influence of China on the glass and ceramic industries in the Islamic state appeared in the colors, shapes, decorations and engravings, while the Muslims made great progress in the glass and ceramic industry, producing gilded vessels with a high

The ceramics industry and its types, such as glazed ceramics, those with raised decorations, and those with metallic luster, and methods of manufacturing them, then the glass industry and its types, methods of manufacturing it, and mosaic decoration.

The study ended with a conclusion that included the most important findings of the study, then a list of the most important sources and references on which the study relied.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد....

يقدم هذا البحث صناعة الخزف والزجاج فى بلاد الشام من القرن الأول حتى القرن الثالث الهجرى،

اشتهر أهل الشام بمصنوعاتهم الخزفية والزجاجية، وجاء الإسلام وحَرَّمَ على المسلمين استعمال الذهب والفضة فى صناعة الأواني؛ لذا استخدموا الخزف والزجاج فى صناعة الأواني، حيث ظهر الكثير منها بصورةٍ جميلة، وأضافوا عليها البريق المعدني، ليكسبها شكلاً جميلاً يفوق ما صُنع من الذهب أو الفضة، واستفاد المسلمون من خلال علاقاتهم بالصين فى إدخال أنواع جديدة من الخزف، وأشرت لأهم مراكز صناعة الخزف والزجاج والطرق المستخدمة فى صناعة وزخرفة الأواني، والأطباق الزجاجية، الخزفية باستعمال الختم، والمنقاش، والخيوط البارزة.

واستخدم المسلمون الفسيفساء فى تزيين عمائرهم، سواء المساجد أو القصور أو المنازل أو الحمامات، وقد استخدم فى مسجد قبة الصخرة، والمسجد الأقصى، والمسجد الأموي بعض منها، وظهرت فيها براعة الفنان المسلم باستعماله للكثير من الزخارف النباتية والهندسية والخط العربي وكتابة بعض من الآيات القرآنية فى زخرفتها، ووضحت فى النهاية طريقة صناعة الفسيفساء.

ولم يقف اهتمام المسلمين بالعمارة عند المسجد، بل امتد إلى كل ما أنشأه المسلمين من قصورٍ أو حماماتٍ أو منازلٍ أو مستشفياتٍ، وما استعملوه من زخارف ومواد البناء التى توفرت فى بلاد الشام مثل الأحجار، والجرانيت، والرخام، والفسيفساء بالإضافة إلى العمال المهرة .

وقد احتوى البحث على العناصر التالية:

صناعة الخزف وأنواعه مثل الخزف المزجج وذو الزخارف البارزة وذو البريق المعدنى وطرق صناعته ثم صناعة الزجاج وأنواعه وطرق صناعته وزخرفة الفسيفساء .

وقد أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

أولاً : الموقع الجغرافي لبلاد الشام:

بلاد الشام قاعدتها مدينة دمشق ، وسُميت شاماً لشامات هناك حمر وسود ، وقيل إنها سميت شام لأن أول من نزلها سام بن نوح فعرفت شام بالأعجمية ، والشام بلاد كثيرة وكور عظيمة وممالك (١)، ويُقال انما سُميت شاماً لأنها شامة الكعبة ، أو من تشاؤم الناس إليها (٢) ، وذكر العمرى أن الشام مأخوذة من اليد الشؤمى وهى اليسرى ، ويجوز ان يكون فعلى من الشؤم ويقال :أعرق دخل العراق ، وأشأم أتى الشام ، وقِيل سُميت الشام لأنها شمال الكعبة (٣)وقيل شام لكثرة قُراها ولقرب بعضها من بعض فشبهت بالشامات ،وتمتد حدود بلاد الشام من الفرات إلى العريش ،وحدودها من الجنوب وادى القرى ، ومن الغرب عسقلان ، ومن أهم مدنها دمشق وحماة وحمص وحلب وبيت المقدس ، وفى الساحل أنطاكية وطرابلس وعكا ، وصور وعسقلان ، وهى خمسة أجناد (ولايات) دمشق وقنسرين وفلسطين وحمص والأردن (٤) .

وقامت بلاد الشام بتصدير الكثير مما اشتهرت بصناعته، وقام الخلفاء بدور كبيرٍ فى الإشراف على الصناعة، والاهتمام بها، وتقديم المساعدات للحصول على أجودٍ أنواع المصنوعات.

---

(١) الحميرى : الروض المعطار ، ص٣٣٥ .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ،ط٢ ، مطبعة ليدن ، ١٩٠٦ م ، ص١٥٢ .

(٣) وقد تعنى اتجاه الشمال مصداقاً لقوله "أصحب المشئمة " اى أصحاب الشمال سورة الواقعة : آية ٩ ؛ العمرى : مسالك الأبصار ،ج٣ ، ص٣٤٨ .

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان ، مج٥ ، ص٢١٨ ،٢١٩ ؛ المقدسى : المصدر السابق ، ص١٥٤ .

صناعة الخزف والزجاج

أولاً : صناعـــــة الخـــــزف

من أهم الفنون التطبيقية الإسلامية، وترجع قيمته الأثرية لكثــرة مخلفاتــه، والاعتماد عليه في ترتيب مراحل التطور الحضاري والفني في تاريخ الطبقات فــي الحفر الأثرى. من الصناعات القديمة التى لبت حاجات الإنسان اليوميــة ومدينــة صور من مراكز إنتاج الفخار ، وصنعت القدور والقلل والخــوابى (١)والاجانــات (٢)والدوارق وأصاصى الزهور ، وبلغ الفن الزخرفى روعة وجمالاً اســتعمل فــى البلاطات الزخرفية لتغليف الجدران المنزلية ودور العبادة (٣) .

لقد تقدمت صناعة الخزف في العصور الإسلامية الأولى تقدماً كبيراً،حيــث كانــت الأقاليم الإسلامية من الصين شرقًا حتى المغرب والأندلس غربا على اتصال ببعضها البعض ، مما أدى إلى سهولة الحركة والتنقل فيما بينها، وأتاح ذلك لحكام المسلمين نقل الفنانين والصنّاع من إقليم لآخر، كما استقدموا إلى مقر حكمهــم بعضــاً ممــن امتدت شهرتهم من سائر الأقاليم الإسلامية، وكان لهذا أكبر الأثر في التقارب بــين

---

(١) الخوابى :جمع خابية ، وهى الجرة الضخمة أو وعاء الخمر منها والخابية الحُبُّ الفيروز آبادى (مجدالدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هــ) : القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرسالة ،ط٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤٢٦ هــ / ٢٠٠٥ م ، ص٣٩ ؛ فواز زحلف الديلمى : الصناعة والحرف فى بلاد الشام ، مجلة جامعة الأنبار ،كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ع٤٣ ، ٢٠١٢ م،ص ١٨٢ .

(٢) الأجانات : جمع أجانة وهى أوانى تصنع من المعدن أو الحجارة ، يغسل فيها الثياب ، والجمع أجاجين المطرزى (ابى الفتح ناصر الدين المطرزى ت٥٣٨ هــــ / ٦١٠ م) : المغرب فى ترتيب المعرب ، ج١ ، تحقيق محمود فاخورى ، عبدالحميد مختار ، سوريا ، مكتبة اسامة بن زيد ،١٩٧٩ م، ص٣١ ؛ فواز زحلف : المرجع السابق ، ص١٨٢ .

(٣) فواز زحلف جزاع الديلمى : الصناعة والحرف فى بلاد الشام ، ص١٧٥ .

الطرز المختلفة في الفنون الإسلامية وتأثير بعضها على بعض،([١]) وظهر أثر ذلك فى الألوان والأشكال والزخرفة والنقوش ، النباتات وزهور وطيور وإنسان وعليها زخارف بيضاء وزرقاء([٢]) .

احتلت صناعة الخزف الصدارة بين الصناعات الأخرى فى العصور الإسلامية ، لم يكن ذلك بسبب القيمة المادية لهذه الأوانى الخزفية لتواجد الأوانى المصنوعة من الذهب والفضة ، وإنما لكره رجال الدين فى استعمالها ولتطور الحياة الإجتماعية التى تطلبت زيادة الحاجة إلى أنواع متعددة ومتميزة من الخزف ([٣]) كما أدى تحسن الأوضاع السياسية إلى سهولة تنقل الصنّاع والحرفيين للعمل بتلك الأقاليم([٤]) مثل بلاد الشام ومصر، وبفضل خضوع هذه الأقطار لحكمٍ واحدٍ حدث تبادل في الخبرات المتعلقة بهذه الصناعة، وبذلك أخذت صناعة الخزف فى الإزدهار تحت الحُكم الإسلامى قبل التدهور([٥]).

---

(١) عبدالخالق على عبدالخالق الشيخة : دور الخزافين فى نقل الأساليب الفنية فى مجال الخزف بين الأقاليم الإسلامية من العصر العباسى وحتى عصر الأسرة العلوية فى مصر (١٣٢ -١٣٧١ هـ / ٧٥٠ -١٩٥٢ م) مجلة مركز الدراسات البردية(BCPS)، كلية الآثار ، جامعة عين شمس ، مج٤٠ ، ٢٠٢٣ م ، ص٣٨١ .

(٢) عصام الدين عبدالرءوف الفقى : تاريخ الفكر الاسلامى ،دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤١٧ ه / ١٩٩٧ م ، ص٤٤٦ .

(٣) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية ، ص١٢ .

(٤) عبدالخالق على عبدالخالق الشيخة : دور الخزافين فى نقل الأساليب الفنية فى مجال الخزف بين الأقاليم الإسلامية من العصر العباسى وحتى عصر الأسرة العلوية فى مصر ، ، ص٣٨١ ، ٣٨٣، ٣٨٤ .

(٥)حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج ١ ، أوراق شرقية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ م ، ص١٠٨.

تمر صناعة الخزف بأربع مراحل وهى :

إعداد الطينة (العجينة) – تشكيل العجينة – التجفيف أو الحرق وأخيراً طلاء الأوانى وزخرفتها (١) .

انتشرت أساليب صناعة الخزف في شتى أنحاء العالم الإسلامي،حيث وُجد كثير من الأساليب الفنية المشتركة بين الأقاليم، ويعتمد ذلك على الأساليب الفنية في تاريخ القطع الفنية، ونسبتها إلى موطنها الأصلى. ولم يكتفِ المسلمون بمنتجاتهم الخزفية بل جلبوا غيرها من الشرق والغرب ، وحوض البحر المتوسط(٢).

كما قاموا بتطوير الصناعة وإبتكار أساليب جديدة لم تكن معروفة سواء فى صناعة الخزف أو زخرفته (٣) .

ومن أنواع الخزف فى العهد العباسى

١- الخزف ذو الزخارف المرسومة تحت الطلاء

يمتاز هذا النوع من الخزف بأنه مطلى بطبقة من البطانة ذات اللون الفاتح ثم تأتى الزخارف ذات اللون الواحد فى القرنين الأول والثانى ، تميزت الزخارف بالعناصر النباتية ذات اللون الواحد من الطبيعة بينما اقتصرت الزخرفة على العنصر الكتابى المرسوم بأسلوب زخرفى جميل فى القرن الثالث الهجرى (٤) .

---

(١) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص١٤: ١٥ .

(٢)زكي محمد حسن: فنون الإسلام،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م ، ص٢٥٨.

(٣) حسن الباشا : المرجع السابق ، مج١ ، ص١٠٨؛ عصام الدين عبدالرءوف الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى ، ص٤٤٥ .

(٤) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية ، ج١ ، ص٢٥ .

٢- الخزف المزجج

سُمى بذلك لإستخدام التزجيج الأبيض فى أرضية الآنية واللون الأزرق للزخارف النباتية والهندسية ومن المدن التى أشتهرت بالخزف الأزرق والأبيض (١) .

ولقد أشتهرت بلاد الشام بصناعة الخزف خاصة سوريا في القرن السابع الميلادي، وتتماشى صناعة الخزف مع فكرة الإسلام في تحريم استعمال الأواني الذهبية والفضية؛ لذا أقبل عليها المسلمون إقبالاً عظيماً، ووصل إنتاجهم في فخامته أن يكون بدلاً من الذهب والفضة باستعمالهم البريق المعدني(٢).

واستعمل المسلمون أسلوب الطلاء بالزجاج، والزخرفة، الصقل، ولكنه لم يحل محل الأنواع القديمة من الفخار، ولكنهم أضافوا أصنافاً جديدة، وهناك فرق بين الخزف والفخار حيث أن الخزف طينه أكثر نقاء وصلابة من الفخار، ويطلى عادة بمادة زجاجية، ويستخدم في صناعة الأواني، وكراسي العشاء، والأحواض، والتماثيل، والشمعدانات، والفسيفساء الخزفية(٣)، والسلادون هو تقليد للبورسلين فيصنع منه عجائن مختلفة من الخزف، وهذه العجائن أكثر صلابة وتماسكاً من الخزف، يعمل منه الأوانى والصحون ويت تزيينها بطبقة رقيقة من الزخارف النباتية والأغصان المزهرة (٤) .

واستخدم المسلمون الخزف الملون المطلي بدلاً من الفسيفساء، لما يتطلبه صنع الفسيفساء من زمن طويل، ومصاعب أشد مما يتطلب الخزف، واستطاع المسلمون أن يقتبسوا من الأمم الأخرى طُرُق صُنع الخزف وأبتكروا قطعاً رائعةً متقنة لم يسبقهم إليها أحد، وكان لهم مصانع شهيرة تبيع مصنوعاتها في جميع أنحاء العالَم الإسلامي(٥).

---

(١) عبدالخالق الشيخة : المرجع السابق ، ص٣٨٥ .

(٢)أبوصالح الألفى: الفن الإسلامي، ص٢٦٢.

(٣)حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار الإسلامية، ص١٠٩.

(٤) م.س ديماند : الفنون الاسلامية ، ص٢١٢ .

(٥) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣ م ،ص٥٣٦.

وفي منطقة الأردن صنعت مصابيح على شكل طائر، أو حيوان، أو ذات مسقط مثلث الشكل، أو دائرة؛ إلى أن وصل الخزف إلى الشكل المعروف في العصور الهلينية والبيزنطية، واستمر إنتاج المصابيح بنفس التصميمات مع تغير مستمر في الزخارف، وصنعت الصحون المتسعة العميقة، وقليلة العمق ذات الجدران السميكة والرقيقة. ولكن اختلفت زخارف الخزف الإسلامي مع استمرار استعمال الأساليب الزخرفية البيزنطية في العصور الإسلامية الأولى، ولم تتغير إلا من حيث وجود الكتابات العربية عليها(١).

وكان هناك تشابهٌ بين مصر والأردن فى تصميمات الأواني، ويعود هذا لمناسبة كل إناء مع وظيفته التي تتحكم في شكله فوُجِدَت أنواعاً من الجرار، والأطباق الصغيرة المنتجة في الأردن أكثر تنوعاً وازدهرت في سوريا صناعة الخزف الأسود ذا البريق المعدنى ثم حل محله نوع من الخزف الأحمر وصنعت منه الزهريات التى كانت من مستلزمات البيوت(٢)، واستخدم اللون الأخضر المنقط الأملس الناعم، وهو الغالب على ألوان أوانى البهارات والتوابل(٣).

ويشترك أكثر من عامل في صنع الخزف كالعجان والخزاف الذى يقوم بالتشكيل، والعامل الذى يتولى الحرق، والدَّهان، والرَسَّام، وقد يشترك في الطلاء عددٌ من الزخرفيين كل واحد يصنع نوع من الطلاء لينقله لمن يليه فيضيف إليه بدوره. واشتهرت دمشق والرقة بصناعة الخزف الذى يحمل الكثير من توقيعات صُنَّاعِه(٤).

---

(١) محمود إبراهيم حسن: الخزف الإسلامي في الأردن، ص٧٧.

(٢) عصام الدين عبدالرؤف: تاريخ الفكر الإسلامي، ص٤٤٦ ،٤٤٧ .

(٣)حسين محمد سليمان: مدينة دمشق منذ سقوط الخلافة الأموية، ص٢٩.

(٤)حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار الإسلامية، ص١٠٩، ١١٠.

وأتقن المسلمون اختيار الألوان، وفَضلَّت بعض الأقاليم اللون الأبيض، والأرزق الزرنيخي، والأخضر الفيروزى، والأحمر البنفسجى([١])، وفي العصر الأموي كان اللون البرتقالي أكثر استعمالاً وعثرعليه في تل حسبان، والكرك، وخربة المفجر([٢]).

وفي قصور الأمويين، وحمام الصرح أخرجت الحفائر الكثير من الفخار الأموي، وجزء كبير منه مصنوع على الدولاب، والباقي يدوى مثل الجرار، والأحواض، وقد صنع معظمه من الطين الخالى من الشوائب، والأواني الأموية محروقة جيداً ناعمة الملمس جميلة الشكل، إلا أن الكثير من القطع الفخارية الأموية سميكة الجدران قياسا بالفخار البيزنطى([٣]).

والمراكز البيزنطية في بلاد الشام هي التي اشتهرت بصناعة الخزف، وازدهرت في العصر الأموي، وانتشرت بجوار الأنهار بما لديها من إمداداتٍ لا حدود لها من الصلصال، والرمال، والمياه، وهي المواد الأساسية فى صناعة الخزف – حيث يقوم الصناع بتجفيفها، وتنقيتها، وتشكل باليد، أو تدور على عجلة الصانع حول نفسها حتى تصل للشكل المطلوب، وتترك في الفرن لتجف([٤]).

وفي العصر العباسي استعملت طريقة الدولاب مع وجود قطع صنعت يدوياً وبذل الصناع في العصر العباسى جهد كبير في تنقية الطين من الشوائب، ولكن معظمه يحتوى على مواد معدنية واضحة، ويتميز برقة الجدران، ونعومة الملمس، وكثرة استعمال الدهان عن العصر الأموي، وعرفت أنواع من الخزف ذات لون واحد:

(مثل الأخضر، والأصفر، والأرجواني، وظهرت مجموعة من الألوان التقليدية مثل: الخزف المضلع،وكان الصناع غاية فى المهارة الصناعية فى فنونهم ([٥]).

---

(١)زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٢)محمود إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص٦٦، ٦٧.

(٣)محمود إبراهيم حسن: الخزف الإسلامي فى الأردن، ص٦٦.

(4)Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic Art's, PP. 101. F.

(٥) نوره عبدالرحمن عيسى : الصناعة فى بلاد الشام ، ص٢٩٧ .

أما أفران الحرق فيوضع الخزف فى حجرة الحرق، وهي متصلةٌ ببيت النار، ويسبب الجو الحار درجات لونية رائعة في الخزف، وأحياناً تكون هذه الحجرة مغلقة تماماً تشع إليه الحرارة وهذه الأفران متعددة الأشكال، ويستخدم الحلفا وقش الأرز كوقود، لأنه يعطي لهب طويل العمر، ويكسب الإناء طلاء له شكل معدني. ورص القطع فى الفرن مهم، حتى لا يلتصق إناءٌ بآخر(١).

وقد عُثر على أفران عند أبواب مدينة دمشق تؤكد صناعة الخزف فى دمشق منذ أقدم العصور(٢) ،واستعملت الكتابة على الأطباق، وأعطى الخط العربي جاذبية فى زخرفة مساحات واسعة(٣)، ولقد ذاعت في العالَم الإسلامي أساليب أخرى مثل حفر الرسوم على القطع الخزفية، وتشكيل الزخارف البارزة تشكيل دقيق أو تخريم جدران الأواني لتغطيتها بالطلاء فتبدو شفافة(٤).

وكانت النقوش المستعملة على الخزف فى العصر العباسى غنية بالألوان، ، واستعملت رسوم الحيوانات بحرية وتلقائية متأثرة بالعصر الهلينستى(٥).

واتبع فى الزخرفة الأساليب المتبعة قبل الإسلام فى سوريا(٦)، وكان للعباسيون تأثيراً عميقاً على تطور صناعة الخزف، ويتمثل فى مجموعة الأطباق المستوردة من أسرة تانج بالصين مهداة للخليفة هارون الرشيد سنة (١٨٤هـ – ٨٠٠م)،والأوعية الخزفية التي استعملت في حمل وتخزين المياه فى المنازل والمساجد على الرغم من رخصها وبساطتها حصلت على بعض النقوش أو إضافة الطين اللين إلى السطح غير المحترق(٧)، وتصنع الأوعية الخزفية مسامية بالنسبة لتبريد المياه، ولكن بالنسبة للسوائل الأخرى كالزيوت التى تتعفن بسبب التعرض الدائم للهواء يطلى الخزف بخليط من الملح القلوى والكوارتز، وتصنع إما معتمة، أو ملونة بالقصدير(٨).

---

(١)محمود ابراهيم حسن: الخزف الإسلامي في الأردن، ص٨٠، ٨١.

(٢) ثريا حافظ عرفه : الحياة الإقتصادية فى بلاد الشام فى العصر الأموى ، دكتوراه ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٩٨٩ م ، ص٢١٧ .

(3)Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic Art's, P. 109.

(٤) أبوصالح الألفى: الفن الإسلامي، ص٢٦٢، ٢٦٣.

(٥) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص٢٥ .

(٦)أبوصالح الألفى: الفن الإسلامي، ص٦٤، ٦٥.

(7) Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic, Art's. 104.

(8) Jonthan Bloom & Sheila Blair: Op Cti, P. 104. F.

٣- الخزف ذو البريق المعدني:

أدرك الخزافون انه ليس من اليسير على الأغنياء الإستغناء عن الأوانى المصنوعة من الذهب والفضة لتحريم فقهاء الدين لهذه الأوانى سواء منها ما كان يستعمل فى الأكل أو فى الشرب أو الطهارة ، لذلك ابتكروا طريقة صناعية تعطى المادة الخام التى يصنع منها الخزف بريق الذهب(١) باستعمال صبغات معدنية في إنتاج الرسوم اللامعة، وكان يستعمل فيها خليط من القصدير والفضة أو الذهب، وكان الإناء يرسم بالصبغات المعدنية بعد الحرق، والألوان المستعملة الأرزق، البنى، الذهبى الزيتى، أخضر خفيف، أحمر، يمكن الحصول على ألوان متعددة من الأكاسيد المختلفة(٢) .

وانتشر الخزف ذو البريق المعدنى فى كافة أنحاء العالم الإسلامى ، وصنع منه الخزافون المسلمون الأوانى المختلفة مثل صحن به تقليد للبورسلين الصينى وزينه بالكتابة وبالزخرفة النباتية ، وإناء من الخزف ذى البريق المعدنى عليه صورة فارس ، وبلاطة نجمية الشكل (٣) ومن أهم مراكز صناعة الخزف فى بلاد الشام تل جرش، أم جمال، قويليه، أم قيس، شرحبيل، مادبا، قلعة عمان، حسبان، والخزف المطلى بالميناء يصنع في دمشق(٤)، وسوريا بصفةٍ عامة(٥)، والخليل(٦)، وفي الأردن فى بيت رأس، وعمان، والمناطق الجبلية، والأغوار، والمناطق المحيطة بوادى الأردن، والشونة الجنوبية، والصحراء المتاخمة لبلاد الشام، لوجود القصور الأموية والاستيطان بها لأسباب عسكرية واقتصادية، وشهدت الفترة العباسية تنوع في مناطق الاستيطان فتركت المناطق الأموية، وبدأ ازدهار وسط وجنوب الأردن، ولكن عدد السكان كان أقل بكثيرٍ فى العصر العباسى(٧).

---

(١) محمد عبدالعزيز مرزوق : الفن الإسلامى تاريخه وخصائصه ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٦٥ م ، ص١٣٠ .

(٢) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص١٦ -١٧ .

(٣) محمد عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ، ص ١٣٠ ،١٣١.

(٤)غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص٥١٧، ٥١٨.

(٥)عبدالحميد العبادي، مصطفى زيادة، إبراهيم العدوي: الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها، ص٣٩.

(٦)عبدالحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية ، أوراق شرقية ،بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص٢١٥.

(٧) محمود إبراهيم حسن: الخزف الإسلامي في الأردن، ص٨٧.

ثانيا-صنـــــــــاعة الزجاج:

تعتبر صناعة الزجاج من الصناعات الهامة التى أُكتشفت منذ القـدم ، وقـد استخدمت لعدة أغراض تعددت بإحتياجات الإنسان لها ، وقد ورد ذكر الزجاج فـى القرآن الكريم فى قوله تعالى بسم الله الرحمن الـرحيم " المصـباح فـى زجاجـة الزجاجة كانها كوكب درى " صدق الله العظيم . (١)

برعت بلادالشام فى صناعة الزجاج (٢) فى مدن متعددة منها مراكز انتاجه صور والرقة وعرف زجاجها بالفينيقى ، وضرب به المثل " أرق من زجاج الشـام وأصفى من زجاج الشام" وصنع زجاجها منها الرمل الموجود فيها ومن صفاته القوة واللمعان ،كما يصنع فيها تحف مذهبة ومطعمة بالمينا ، تعود إلى مدينـة الرقـة ، والفسيفساء الزجاجية فى قبة الصخرة والمسجد الأموى فى غايـة الروعـة ، وتـم العثور على أوانٍ زجاجية " قوارير وكوؤس ، تعود إلى القرن الثالـث الهجـرى ، وألوانها زرقاء أو خضراء بعضها براق وشفاف وآخر عاتم اللون ، وفى المسـجد الأموى الزجاج من رملها (رمل أبيض) وأشار القزوينى (٣)إلى تـزيين المسـجد الجامع بدمشق بالزجاج المُذهب المحفور يحمل كتابة الآيات الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم "ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر " (٤) .

---

(١) سورة النور : اية ٣٥ .

(٢) زينب طاهر ساق الله: فى الإنصاف بين المشرق والمغرب قطعة من مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى (٧٠٠ -٧٤٩ ه /١١٣٠ -١٣٤٩ م) ،ماجستير ، ، الجامعة الأميركية ، بيروت ، ١٩٨٦ م ،: مسالك الممالك ، ص١٦ .

(٣) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص١٩٠

(٤) سورة التكاثر

اختصت بلاد الشام بصنع الزجاج خاصة فى صيدا وصور ،فعُرف زجاجهما برقته وصفائه([١])،وكان الزجاج المخطط منه والمطلى بالميناء مثال اتخذه الأوربيون لصنع الزجاج الملون الذى استعملوه لتزيين كاتدرائياتهم ، وكثر الطلب فى العصر العباسى على الآنية الزجاجية والمزهريات المعدنية من مصنوعات الشام ، واصبحت تعتبر من لوازم المنزل ومن متممات الرفاهية ، وكانت منائر الزجاج تعلق فى المساجد والقصور وعليها كتابات بالميناء من مختلف الألوان ([٢]) .

واجمل ما صنعه الزجاجون السوريون قناديل المساجد وهى مصابيح تغطى السراج او وعاءه ، وللمصباح مقابض عديدة تعلق منها فى سلاسل تشد إلى سقف المسجد وقد زينت بألوان زاهية ، وزخارف نباتية وهندسية وأحياناً كتابية [٣] .

عُرِفَت صناعة الزجاج قبل ظهور الإسلام، ثم تقدمت على يد المسلمين، والدليل على ذلك الأواني المذهبة والمطلية بالميناء، والمصابيح فى المساجد، ولقد اكتسب المسلمون خبرة من أهالى البندقية، وموارنو([٤])، ولقد راجت صناعة الزجاج فى بلاد الشام بصفة خاصة، وانتجت الزجاج المنقوش بالذهب وكان فى غاية الإتقان ،وكثر إنتاج الزجاج الملون بالميناء، حيث يصدر لجهات كثيرة، وصنعت القناديل الموشاه بألوان براقة ومغطاة بألوان الطيف أو البلاتين المعدني ذا الألوان المتغيرة كقوس قزح([٥]).

---

(١) أحمد اسماعيل على : تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموى دراسة سياسية ، اجتماعية ، إقتصادية ، فكرية ، عسكرية ، دار دمشق ، ط٣ ، ١٩٩٤ م ، ص٣٧٠ .

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق ، ص٤٢٥ .

(٣) فواز زحلف جزاع الديلمى : الصناعة والحرف فى بلاد الشام ، مجلة جامعة الأنبار ،كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ع٤٣ ، ٢٠١٢ م ، ص١٧٥ .

(٤)غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص535.

(٥)إبراهيم أيوب: التاريخ العباسى السياسى والحضارى، ص٢٤٢.

وصُنعت بعض التماثيل على شكل حيوانات تحمل الأشياء على ظهور الدواب (الجمال) وتسمى القنية؛ ونظراً لسهوله كسر الزجاج كان من النادر الحصول على أى من القطع الزجاجية، كان فى الكنائس الأمينة (يؤمن فيها على التحف الثمينة والمجوهرات)؛ لذا القطع يمكن أن تؤرخ حسب الأسلوب الذى صُنعت به(١).

وأهتم المسلمون بصناعة الزجاج، لحاجتهم للأوانى الزجاجية لاستخدامها فى حفظ العطور، وصناعة العقاقير، والشراب، والإضاءة، وترجع بعض النظريات الموطن الأول لصناعة الزجاج لشمال سوريا(٢)، بسبب وجود الخامات الضرورية لصناعته ، حتى أصبح يضرب المثل بالزجاج السورى لرقته وصفائه ، واتخذ صناع الزجاج طرازاً خاصاً بهم فى زخرفة الزجاج وخاصة الزجاج المطلى بالميناء ، كما صنعوا الأكواب والأباريق من البلُور (الكريستال) الصافى الأبيض الملون (٣) ، وبرع صناع الزجاج فى الأوانى الزجاجية مثل الكوؤس والقوارير والأكواب وكذلك صنج العملة والحلى والنوافذ وفصوص الفسيفساء والمصابيح المسماة بالمشكاة التى تشبه الزهريات وتزخرف بالمينا الحمراء والخضراء والبيضاء (٤) .

لقد عُرفت دمشق في معظم عصورها بأنها مدينة صناعية ،ويرجع ذلك إلى وفرة المواد الأولية المستخرجة من أرضها، فمن تربتها تعمل زجاجها وآنيتها (٥)، ومما ساعد على تقدمها وجود المواد الخام الضرورية على ضفاف الأنهار مثل

(1) Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic Art's, P. 120.

(٢)علي أحمد الطايش: الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموى والعباسى، ص٤٥، ٤٦.

(٣) عصام الدين عبد الرءوف الفقى : تاريخ الفكر الإسلامى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٧ م ، ص٤٤٦ .

(٤) عصام الدين عبدالرؤوف : المرجع السابق ، ص٤٤٦ .

(٥) محمد كرد علي: دمشق مدينة السحر والشعر،مؤسسة هنداوى ، المملكة المتحدة ، ٢٠١٣ م ، ص٧١ ؛ عصام الدين عبدالرؤف: الحواضر الإسلامية الكبرى، ص٥٠.

الصلصال، وحجر الرمال، والمياه(١)، وكانت دمشق منذ بداية القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى تصدر الزجاج إلى الأقطار المجاورة(٢)، وكان يضـــرب المثل بصفاء ونقاء الزجاج الدمشقى(٣) حيث يتخذ للزينة والزخرفة، ومنه الأكواب، والكيزان، والأباريق، وكانت معامل صناعته ممتدة على طول الجامع الأموي(٤).

اتخذ الخليفة المعتصم مصانع الزجاج فى جميع البلدان الإسلامية، وكان لها أسواق متخصصة لكل حرفة(٥)، ومن أهم مراكز صناعة الزجاج الرقة(٦)، واختص أهل صيدا بصناعة التحف الزجاجية الشفافة، والملونة، والقاتم الذي يشبه الخزف ويسمح بنفاذ الضوء، والزجاج الذي لا يسمح بنفاذ الضوء(٧) فى صور(٨) وفي الخليل(٩) ، والزجاج المذهب بدمشق(١٠) وفى فلسطين نبات حشيش الزجاج الذى يُغسل به الزجاج فينقيه ويزيل منه الأوساخ (١١) .

---

(1)Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic Art's, P. 101. ؛ حجر الرمل يصنع منه الزجاج عن طريق إيقاد النار عليه لعدة أيام حتى يتجمع ويزداد صلابة نوره عبدالرحمن عيسى الدرمكى ، عصام عبدالهادى عقلة : الصناعة فى بلاد الشام من خلال كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى (٧٤٩ –١٣٤٨ م) ، مجلة المؤرخ المصرى ، يوليو ٢٠٢٣ م ، ٦٣ ع ، ص٢٩٤ .

(٢) عصام الدين عبدالرؤف: الحواضر الإسلامية الكبرى، ص٥١.

(٣)الثعالبى: لطائف المعارف، ص ١٥٧.

(٤) محمد كرد علي: دمشق مدينة السحر والشعر، ص١٢٧.

(٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى، ج٢، ص٣٠٣، ٣٠٤.

(٦) محمد فتحي الشاعر: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص١١٥.

(٧)عبدالعزيز سالم: دراسة في تاريخ مدينة صيدا، ص٤٦.

(٨)الإدريسى: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٣٦٥.

(٩)عبدالحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، ص٢١٥.

(١٠) العمرى : مسالك الأبصار ،ج٣ ، ص٣٥٧ .

(١١) حشيشة الزجاج : تعرف أيضاً بعشبة بالبرطال ، ومنها ٣ أصناف (غالا – آذان الفأر – الرفايد) ،وذُكر انه يشبه نبات الفوة الجبلية او تشبه نبات القسينى من حيث الأوراق أبو الخير الأشبيلى (القرن السادس الهجرى – الثانى عشر الميلادى) : عمدة الطبيب فى معرفة النبات ، تحقيق محمد العربى الخطابى ،ج١ ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٥ م ، ص١٩٣ .

عرف صناع الزجاج فى حلب بالاتقان والمهارة فى التصنيع بأشكال متنوعة ومختلفة غاية فى الدقة والرقى ، لذلك حرص التجار على إقتناء الزجاج من حلب ، ولقد استخدم أهل حلب الأوانى من الزجاج المذهب لتقديم أشهى الاطعمة ،كما كانت توجد فى حلب أماكن مخصصة لصناع الزجاج عرفت بالزجاجية أو الزجاجين (١).

ولقد حظى الزجاج فى العصر العباسى بتطور صناعى وزخرفى كبير نتيجة إقبال الخلفاء على إقتنائه وخاصة الخليفة الراضى بالله والمقتفى بالله حيث عمل لهم من الأوانى الزجاجية ما لم يعمل لملك من قبل من حيث عددهم وتكلفتهم ، كما بلغ من شغف خلفاء العباسيين أن استقدموا من كل بلد مهرة الصناع فى هذه المهنة حتى إن الشعراء نظموا فيه الشعر(٢) .

واتخَذَت الأواني الزجاجية أشكالاً متنوعة منها على هيئة كروية، أو كمثرية، أو مضلع، أو مسطح، وينقسم الزجاج الإسلامي إلى عدة طرز سواء من حيث نوع الزجاج، أو الطريقة المستخدمة فى الزخرفة، وأسلوبها، أو التشكيل، وصنع المسلمون المشكاوات ذات البدن المنتفخ الذى ينساب إلى أسفل، وينتهى بقاعدة، ولها رقبة على هيئة قمع متسع، ومن ألوانها الأخضر، والأحمر، والأبيض، وصنع المسلمون القوارير، والسلاطين، والتماثيل، والحلى، صنج العملة، والكؤوس، والقنينات(٣) .

---

(١) الغزى (كامل بن حسين بن مصطفى الحلبى) : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، المطبعة المارونية ، حلب ، ١٣٤٥ ه /١٩٢٦ م ، ص١٣ .

(٢) ومن الشعراء قول ابن تميم ياحسنه قدح يضئ زجاجه ... ليل الهموم إذا ادلهم وسعا
اهدبته مثل النهار فان خوى ... صرف المدام غدا نهارا أشمسا سعاد ماهر محمد: الفنون الإسلامية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ص١٥٩ .

(٣) حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار الإسلامية، ص١١٢.

طريقـــة صناعـــة الأواني الزجاجية:

حجر الرمل وتوقد عليه النار لعدة أيام يجتمع لكثرتها ويزداد صـــلابة، ويـــذكر أن استُخدمَت نفس الطريقة القديمة في صناعة الزجاج مـــن صـــهر الرمـــل، أكســـيد السليكون، بعد خلطه بنسبة معينة من الحجر الجيرى وكربونات الكالسيوم، مع نسبةٍ من كربونات الصوديوم وأكاسيدٍ أخرى، ثم يشكل بالنفخ(١)، ويصهر فى فرن خاص ذو مسقط دائرى مسقوف من الطوب مزود من أسفل بفتحة لتزويده بالوقود تقابلهـــا فتحة لخروج الوقود المستهلك، وأكثر من فتحة تشرف على النار يجلس أمامها أكثر من صانع لتشكيل الآنية الزجاجية، ويوجد بجانب الفرن مكان لحفظ الآنية الزجاجية حتى تفقد حرارتها بالتدريج، لأنها لو التقت مباشرة مع الجو العادى تتهشم(٢).

وتنقسم طرق النفخ إلى طريقتين:

طريقة النفخ في الهواء و طريقة النفخ في القالب.

(أ) طريقة النفخ فى الهواء:

وتتم بالتقاط الصانع قطعة عجينة مكورة، وينفخ من بداية الأنبـــوب فينـــدفع الهواء إلى وسط العجينة فتنتفخ جوانبها، ويعتمد تشكيلها على مهارة الصانع؛ ليتمكن من التحكم فى الآنية، مستعيناً بحركاتٍ دائريةٍ في الهواء(٣).

(ب) طريقة النفخ في القالب:

تتم بالتقاط قطعة من العجينة، ويضعها في القالب المكـــون مـــن قطعتـــين، والحفر ينفخ الصانع العجينة داخل القالب، يتخذ شكل القالب، ويمكن أن يكون القالب من الخشب، أو المعدن، أو الفخار، وتكون أشكال الأواني أكثر انتظاماً من طريقـــة النفخ فى الهواء(٤).

---

(1) Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic, Art's, P. 102.

(٢)علي أحمد الطايش: الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، ص٤٦.

(٣)علي أحمد الطايش: المرجع السابق، ص٤٦، ٤٧.

(٤)علي أحمد الطايش: المرجع السابق، ص٤٧.

ابتكر أهل صيدا الزجاج المنفوخ الذى يزودنا بتحف زجاجية وشفافة ملونة وغير ملونة ، وكذلك الزجاج القاتم الذى يشبه الخزف ويسمح بنفاذ الضوء ، والزجاج الذى لا يخترقه الضوء ، كما برعوا في صناعة الزجاج المصبوب، لأن طريقة النفخ لم تكن تعرف، وبعد أن عُرفت طريقة النفخ ظلت الطريقة التقليدية تسير جنباً إلى جنب مع الطريقة الجديدة، وينسب إلى صيدا ابتكار الزجاج والمرايا الزجاجية، وكان يتم استيراد النطرون اللازم لهذه الصناعة من مصر، ومن أهم مراكز صناعة الزجاج صور وصيدا، وابتكر أهل صيدا الزجاج المنفوخ وكانت تُرسل لتُصهر في صيدا(١).

ويمكن التفرقة بين التحف الزجاجية في بداية الإسلام، من خلال طرق صناعة وزخرفة الزجاج فمنها ما هو خالى من الزخرفة، وهنا يلعب الإناء دوراً فى تحديد موطنه وتاريخ صنعه(٢)، ولكن بعض الأساليب الفنية معروفة بعد الإسلام ومشتركة بين الأقاليم(٣).

وكانت أشكال الأواني وأحجامها من التنوع والكثرة ما يصعب معه حصر أنواعها، وأغلب ما وصلنا من الأواني الزجاجية من القرنين الثانى والثالث الهجرى / الثامن والتاسع الميلادى خالٍ من الزخرفة، أما القليل الباقي فاتُبِعَت في زخرفته أساليباً مختلفةً مثل: الخيوط البارزة والكتابات(٤).

(١) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي الأول، ص٤٦، ٤٧.

(٢)علي أحمد الطايش: الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، ص٤٧.

(٣) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص٥٨١.

(٤) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٢٣٠، ٢٣١.

أنواع زخرفة الأواني الزجاجية:

١ – الزخرفة بالختم: بعد تشكيل الآنية يضع الصانع قطعة من الزجاج اللين ويضغط عليها بختم معدنى عليه زخارف بارزة أو غائرة على حسب نوع الزخارف المطلوبة([١]).

٢ – البريق المعدني: أكدت الحفائر الأثرية أن المسلمين استخدموا مادة البريق المعدني منذ منتصف القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى، وتتسم هذه الأواني الزجاجية برقة الجدران([٢]).

٣ – الزخرفة بالقالب: تتم بأخذ قطعةٍ من عجينة الزجاج المصهور بنهاية أنبوبٍ معدنيٍ، ويضعها داخل قالب من الفخار أو المعدن أو الخشب يكون مضلع أو على هيئة خلايا النخل، ثم يُنفخ في بداية الأنبوب فيأخذ بدن الآنية الخارجي نفس شكل التضليع أو خلايا النحل([٣]).

٤ – الزخرفة بالقطع: استخدمت هذه الطريقة فى صنع الأدوات المنزلية.

٥ – الزخرفة بالمنقاش: حيث ينقش الصانع على بدنها بالمنقاش وهى ساخنة.([٤]) .

وصنع المسلمون الزجاج دقيق الحجر – البلور – واستُخدِمَ في زخرفته أسلوب القطع على نمط ما كان متبع فى زخرفة البلور الصخرى، وهو نوعٌ من الأحجار الكريمة يشبه الزجاج ولكنه أشد صلابة من الزجاج وأكثر جمالاً، ووصلتنا بعض القطع التى تعود إلى القرن الثالث الهجرى، وانتشر في الكثير من أنحاء العالم الإسلامي فى النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى، وهناك بعض القطع لها

(١)علي أحمد الطايش: الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة، ص٢٤٧، ٢٤٨.

(٢)زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص٥٨٥.

(٣) علي أحمد الطايش: المرجع السابق، ص٤٨، ٤٩.

(٤) علي أحمد الطايش: المرجع السابق، ص٤٨، ٤٩.

الطابع الطولونى(١)، كما صُنِعَت في العصر العباسى قطع الشطرنج، وتماثيل الحيوانات، وقنينات صغيرة، وطيور، وأسماك، ووريقات العنب الخماسية الفصوص، أو المراوح النخيلية(٢).

ويوجد أقراصاً زجاجية للوزن والكيل يطبع عليها، لبيان أحجامها، وأغلبها بأسماء الولاة والخلفاء(٣)، والبعض لوزن السكة أو العقاقير أو الأوزان الثقيلة للجزارين والفكهانيين يلزم عامة طبع كتاباتها بعد حفرها عميقة ومقلوبة على قالب من حديد يضرب به الصنجة قبل أن تبرد حتى تظهر الكتابات على الصنجة بارزة ومستقيمة مع وصفها الصحيح، واسم الصانع، وإذا كانت مثقال دينار أو فلس أو درهم(٤)، ولقد ازدهرت صناعة الزجاج فى العصر العباسى، وجذبت أفضل الفنانين فى العالَم الإسلامي(٥).

الفسيفساء هي الموضوعات الزخرفية المؤلفة من أجزاء صغيرة، ومتعددة الألوان من الزجاج والحجر وتثبت إلى جانب بعضها البعض فوق الجص أو الأسمنت، وقد تكون هذه الموضوعات هندسية أو نباتية أو كائنات حية، والأغلب أن تكون هذه الأجزاء الصغيرة مكعبات دقيقة، وعرفت هذه الطريقة منذ القدم وفى العصر البيزنطي(٦) .

---

(١) حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار الإسلامية، ص١١٢، ١١٣؛ عصام الدين عبدالرؤف : تاريخ الفكر الإسلامى ، ص٤٤٦ .

(٢) علي أحمد الطايش: الفنون الزخرفية الإسلامية، ص٤٩.

(٣) أبوصالح الألفى: الفن الإسلامي، ص٢٧٦، ٢٧٧.

(٤)علي أحمد الطايش: المرجع السابق، ص٥١.

(5)Jonthan Bloom & Sheila Blair: Islamic, Art's, P. 116. F.

(٦) ثريا حافظ عرفه : الحياة الإقتصادية فى بلاد الشام ، ص٢١٨ ؛ غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص٥٣٤ .

وزخرف المسلمون الجدران طوال العصور الإسلامية بالفسيفساء، وأقدم آثارها فى قبة الصخرة التي بنيت سنة (٧٢هـ /٦٩١-٦٩٢م)، ولا نستطيع أن نتحقق من إتيان المسلمين بتعديلاتٍ مهمةٍ في صناعة الفسيفساء، والتي لم يلبثوا أن فَضَّلوا عليها صناعة الميناء فى زخارفهم السهلة الإنجاز.

والفسيفساء نوعان:

النوع الأول: يكسو به وجه الأرض وأسفل الجدران قطع من المرمر والخزف المطلى الملون باختلاف المقاييس.

والنوع الثاني: يُستعمل في جدران المحاريب، وصنعه بيزنطي تماماً، وكان هناك تماثيل بين قطع الفسيفساء فى كل من سوريا واليونان ومصر، ومن أمثلتها فى المسجد الأقصى، ومساجد القاهرة ، ويشتمل

كل صباغ فيها على ثلاثة ألوان، وهى صالحة لإحداث نماذج النور وانعكاسه والمكعبات الحجرية ملونة في جملتها والقطع الزجاجية التى تُكون مكعبات صغيرة ، لإحداث أساس ذهبى مذهبة في وجهها فقط(١).

والفسيفساء الخزفية عبارة عن فصوص مختلفة الشكل والحجم مقطوعة من لوحات كثيرة من الخزف المطلى بالألوان يجمع بضعها إلى بعض ويصب عليها من الخلف بمادة لاصقة فتملأ جميع التجاويف، وتتماسك الفصوص(٢).

وتتبع طريقة الطلاء الواقى لبقاء الطبقة الذهبية للقطع الزجاجية ودوامِها لامعةًعن طريق طلاء كل مكعَّب مذهب بطبقة زجاجية رقيقة رقَّةَ الطبقات الزجاجية التي تكون فوق المستحضرات المكروسكوبية في المختبرات(٣) .

---

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص٥٣٤ ،٥٣٥.

(٢)حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار الإسلامية، ص١٠٩.

(٣) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ، ص٥٣٥ .

كانت دمشق مركزاً واسعاً لصناعة الفسيفساء، وقد رُسمت أحياناً صور زهور مألوفة، وتستعمل لتزويق الأبنية والجدران من الداخل والخارج، وأبرز ألوانه الأزرق النيلي، الأزرق الفيروزى، الأخضر، الأحمر، الأصفر(١) كما زُين المسجد الجامع فى عهد الوليد بن عبدالملك القبة العظمى وزينها بالفسيفساء(٢) .

ومن أهم أمثلة الفسيفساء ما اكتشف فى قصر هشام بفلسطين وقد وصلتنا صور بالفسيفساء تزخرف حماماً ملحق بالقصر به رسوم بطابع زخرفى من حيث التوزيع العام، وأسلوب رسم الأغصان والأزهار والحيوانات، ويتضح البراعة فى التعبير عن الحركة،فى تزيين مقاعد ديوان مجلس الخليفة وأرضه بالفسيفساء برسوم تحمل صورة شجرة البرتقال تحمل الثمر ويحيط بها ثلاثة غزلان قد سطا على احدها أسد يفترسه وهذه الرسوم شبيهة برسوم الأشجار فى قبة الصخرة والجامع الأموي(٣).

وفي الحمامات الشامية كانت الدرجات تزين بالصور بدلاً من البلاط المختلف الألوان، وهذه العادة ترجع إلى العصر الأخير من الحضارة اليونانية، كانت الحمامات تحتوى على مخادع كثيرة مفروشة بالفسيفساء وقد طلى نصف حائطها مما يلى الأرض بالقار وطلى النصف الآخر الأعلى بالجص الأبيض الناصع وهى مبنية حول ردهة واسعة عليها قبة فيها نوافذ زجاجية صغيرة مستديرة للنور(٤) .

---

(١)السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٩٩؛ قليب حتى: تاريخ العرب، ترجمة إدوارد جرجى وجبرائيل جبور، ج٢ ، ص٤٢٥.

(٢) قليب حتى : تاريخ العرب، ترجمة إدوارد جرجى وجبرائيل جبور،ج٢ ، دار الكشاف ، ١٩٥٠ م ، ص٣٣٦ .

(٣) سعاد ماهر: الفنون الإسلامية، ص٢١٨، ٢١٩.؛ قليب حتى: تاريخ العرب، ص٣٣٩ ، ٣٤١

(٤) قليب حتى : المرجع السابق ،ص ٤١٥ .

وكان المسلمون يُصَوِّرون العنقاء فى الحمامات، وهى حيوانٌ خياليٌ عند الشرقيين([١])، ولكن التصاوير الجدرانية أقل بكثير مما عُثر عليه من تصاوير المخطوطات، بسبب عدم التصوير في المساجد وغيرها من العمائر الدينية واقتصر على العمائر الدنيوية، والكثير منها تَعَرَّضَ للخراب والتدمير والآخر بقي بعيداً عن الأنظار؛ لبعدها عن الأماكن المأهولة مثل القصور الأموية لتغطيتها بالتراب والأنقاض؛ أو لكونها في الصحراء؛ أو بسبب بعض المتزمتين الذين تأثروا بما شاع من تحريم الإسلام للتصوير فلجأوا إلى تغطيتها بطبقة من البلاط مما ساعد على صيانتها، وترجع صور الجدران إلى أواخر القرن الأول الهجرى، واستخدم المسلمون الألوان المائية فى تزيين الجدران([٢]).

والفسيفساء المستعملة في قبة الصخرة من عمل صُنَّاعٍ سوريين وبيزنطيين مع أجناسٍ مختلفة، وهذا يُفَسِّرُ بعض العناصر الساسانية في هذه الزخارف، ولكن هذا التفسير ليس أكيداً لأن اشتراك عمال إيرانيين ليس لازماً لتفسير موضوعات زخرفية ساسانية، لأن معظم هذه الموضوعات انتقل إلى الشام، وأقبل الصناع السوريين على استعماله([٣])، وكانت تكسو أرضية مبنى القبة ورقبتها من الداخل والخارج بالفسيفساء، إلا أنه لم يبقَ منها شيئاً فى الخارج، واستعملت موضوعات زخرفية نباتية وحلزونية وزخارف ساسانية مجنحة ورسوم الفاكهة وباقات الزهور والأكانتس والجواهر والحلي والأهلة والنجوم، مقتبسة من الفن الرومانى والساسانى([٤]).

---

(١) آدم متيز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادى أبوريدة، ج٢، ص١٦١، ١٦٢.

(٢) سعاد ماهر: الفنون الإسلامية ، ص٢١٥، ٢١٦.

(٣)سعاد ماهر: المرجع السابق ، ص٢١٧.

(٤)سعاد ماهر: المرجع السابق، ص٢١٦، ٢١٧.

واستعملت فى الجامع الأموي زخارف رسوم العمائر والمناظر الطبيعية وصور الآداميين، ومن المحتمل أن يكون صناع الفسيفساء نقلوا موضوعاتهم من نماذج قديمة، وتسببت الحرائق في ضياع أغلبها، واكتشف دي لورين أجزاءً عظيمة كانت مغطاة بالبلاط، أهمها ما يقع على مقربة من المدخل الرئيسي للجامع، ورسم في مقدمة المنظر أشجار ضخمة تطل على منظرٍ طبيعيٍ به رسوم عمائر بين أشجار وغابات وملعب خيل وقصور وبناء مربع الشكل له طراز صيني فوق النهر المذكور قنطرة تشبه قنطرة نهر بردي بدمشق، مما يمكن القول معه أن هذه الرسوم مناظر مدينة دمشق نفسها([1]).

([1]) سعاد ماهر: الفنون الإسلامية ، ص٢١٧، ٢١٨.

الخاتمـــــــــة

وأخيراً في نهاية البحث توصلت لعدةِ نتائجٍ من أهمها:

تعددت صُوَرُ الصناعة فى بلاد الشام، ومن أهم الصناعات التى قامت فى بلاد الشام فى هذه الفترة صناعة الزجاج والفسيفساء والخزف .

ولقد ازدهرت مراكز صناعة الخزف والزجاج فى سوريا على يد المسلمين الذين قاموا باستعمالها بكثرة فى صنع الأواني، والتى استعاضوا بها عن صنع الأواني المصنوعة من الذهب والفضة ونظراً لتحريم الدين الإسلامي استعمالهما فى صنع الأواني والبريق المعدني أضفى على الأواني الخزفية والزجاجية بريقاً وجمالاً، لتبدو من الخارج كأنها مطلية بالذهب أو الفضة.

تنوع الخزف من حيث الأشكال وطرق الصنع وابتكار ألون جديدة ومختلفة من الأكاسيد ساهم فى انتشار الخزف واستعماله بكثرة لسد احتياج المجتمع من الأوانى وغيرها .

أما بالنسبة للفن الإسلامى فى الزخرف والذى تزينت به المساجد، لقد بنيت المساجد فى كل مدينة دخلها المسلمون من أجل الصلاة، ونشر الدين الإسلامي من خلال المساجد؛ لذا اهتموا ببنائها وكان مسجد النبى صلى الله عليه وسلم هو الأساس الذى قامت عليه المساجد فى العصور الإسلامية الأولى، ولكن مع إدخال مظاهر الترف والتطور مثل:استعمال الفسيفساء فى تزيين الجدران والأرضية مما أكسب مساجدهم جمالاً، ومازالت بعضها باقية حتى اليوم مثل المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، والمسجد الأموي بدمشق. ولم يكتفوا ببناء المساجد بل قاموا ببناء القصور، ومازالت بعض من الزخارف باقية على جدرانها دليل على إتقان المسلمين لما قاموا بناءه، وأدخل المسلمون الكثير من الابتكارات فى صناعة الزجاج والخزف من خلال الزخارف المتنوعة فى الأشكال والألوان.

خريطة لأهم مراكز صناعة الخزف والزجاج في بلاد الشام

قائمة المصادر والمراجع

أولاً القرآن الكريم

ثانياً : قائمة المصادر

١-الإدريسى (عاش خلال القرن السادس الهجرى): أبى عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر، القاهرة، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

٢-الثعالبى (زين الدين أبى الفرج ابن رجب الحنبلى الدمشقى ٧٣٦ -٧٩٥ هـ) : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، تحقيق عامر بن على ياسين ، دار بن خزيمة ، الرياض ، ١٤٢٨ ه /٢٠٠٧ م .

٣-الحميرى (محمد بن عبدالمنعم الصنهاجى الحميرى ت ٨٦٦ ه) : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ م.

٤- أبو الخير الأشبيلى (القرن السادس الهجرى – الثانى عشر الميلادى) : عمدة الطبيب فى معرفة النبات ، تحقيق محمد العربى الخطابى ،ج١ ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

٥- السيوطى (جلال الدين بن عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى ٨٤٩-٩١١ه): تاريخ الخلفاء، ط٢دار المنهاج ، ،بيروت ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣ م .

٦- العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ): مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ممالك الشرق الإسلامى والترك ومصر والشام والحجاز ، تحقيق كامل سلمان الجبورى ،ج٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٧١ م .

٧-الغزى (كامل بن حسين بن مصطفى الحلبى) : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، المطبعة المارونية ، حلب ، ١٣٤٥ هـ /١٩٢٦ م .

٨- الفيروز آبادى (مجدالدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ) : القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرسالة ،ط٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

٩-القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، (بدون) .
١٠- المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ،ط٢ ، مطبعة ليدن ، ١٩٠٦ م .
١١- المطرزى (ابى الفتح ناصر الدين المطرزى ت٥٣٨ هـــ / ٦١٠ م) : المغرب فى ترتيب المعرب ، ج١ ، تحقيق محمود فاخورى ، عبدالحميد مختار ، سوريا ، مكتبة اسامة بن زيد ،١٩٧٩ م .
١٢-ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م):معجم البلدان، مج٥، مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م.

ثالثاً :قائمة المراجع

١-إبراهيم أيوب: التاريخ العباسى السياسى والحضارى ، دار الشركة العالمية للكتاب ، الكتاب العالمى ، بيروت ، ١٩٨٩ م .
٢-أحمد اسماعيل على : تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموى دراسة سياسية ، اجتماعية ، إقتصادية ، فكرية ، عسكرية ، دار دمشق ، ط٣ ، ١٩٩٤ م .
٣-آدم متز :الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى، ترجمة عبدالهادى أبوريدة، ج٢ ، القاهرة.١٩٤١م.
٤-حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى ، ج٢ ،ط١٤ . العصر العباسى الأول فى الشرق ومصر والمغرب والأندلس (١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ - ٨٤٧ م) ، دار الجبل (بيروت) ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة) ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
٥- حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج ١ ، أوراق شرقية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ م .
٦-زكي محمد حسن: فنون الإسلام،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
٧-السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

٨-سعاد ماهر محمد: الفنون الإسلامية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٨٦ م .
٩-أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى أصوله -فلسفته -مدارسه ، دار المعارف ، ١٩٩٨ م .
١٠-عبدالخالق على عبدالخالق الشيخة : دور الخزافين فى نقل الأساليب الفنية فى مجال الخزف بين الأقاليم الإسلامية من العصر العباسى وحتى عصر الأسرة العلوية فى مصر (١٣٢ -١٣٧١ هـ / ٧٥٠ -١٩٥٢ م) مجلة مركز الدراسات البردية (BCPS)، كلية الآثار ، جامعة عين شمس ، مج٤٠ ، ٢٠٢٣ م .
١١-عبدالحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية ، أوراق شرقية ،بيروت ، ٢٠٠٠م.
١٢-عبدالحميد العبادي، مصطفى زيادة، إبراهيم العدوي: الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها، .
١٣-على احمد الطايش : الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة فى العصريين الأموى والعباسى ، مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠١٣ م .
١٤-عصام الدين عبدالرءوف الفقى : تاريخ الفكر الاسلامى ،دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤١٧ ه / ١٩٩٧ م .
١٥-عصام الدين عبدالرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.
١٦-غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣م .
١٧-فتحي الشاعر: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
١٨-فواز زحلف جزاع الديلمى : الصناعة والحرف فى بلاد الشام ، مجلة جامعة الأنبار ،كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ع٤٣ ، ٢٠١٢ م .
١٩-قليب قتى : تاريخ العرب ، ج٢ ، دار الكشاف ، ١٩٥٠ م .

٢٠- م.س. ديماند : الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

٢١ – محمد عبدالعزيز مرزوق : الفن الإسلامى تاريخه وخصائصه ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٦٥ م .

٢٢-محمد كرد علي: دمشق مدينة السحر والشعر،مؤسسة هنداوى ، المملكة المتحدة ، ٢٠١٣ م .

٢٣-محمود إبراهيم حسين: الخزف الإسلامي في الأردن، دار الثقافة العربية ، ١٩٨٨ م .

رابعاً: الرسائل العلمية:

١ –ثريا حافظ عرفه : الحياة الإقتصادية فى بلاد الشام فى العصر الأموى ، دكتوراه ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٩٨٩ م .

٢-زينب طاهر ساق الله : فى الإنصاف بين المشرق والمغرب قطعة من مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى (٧٠٠ -٧٤٩ ه /١١٣٠ – ١٣٤٩ م) ،ماجستير ، ، الجامعة الأميركية ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

خامساً : المراجع الأجنبية

1-The New Encyclopaedia Britannica, Chicago University, Vol (22),.

2- Bloom, J., & Blair, S: Grove Encyclopedia of Islamic Art & Architecture: Oxford University Press, (2009)..